بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

مضى زمن كان الناس فيه يتناقشون : هل التاريخ علم أو ليس بعلم ؟ هل يستطيع التاريخ أن يقوم بنفسه ويستقل عن علوم أخرى ظل مدة طويلة ملتصقا بها حتى يكاد أن يكون جزءاً منها كاللاهوت (فى الغرب النصرانى) أو الحديث (فى الشرق الإسلامى) أو الأدب أو الفلسفة ؟ مضى هذا الزمن واستقل التاريخ عن تلك العلوم واستقر علما قائما بذاته له أصوله وطرائقه ومدارسه .

وقد أسهم العرب بنصيب كبير فى حركة (بناء) التاريخ . وقد سار تطور التاريخ عند العرب مسيره عند الغرب . نما معرفة ساذجة من معارف العرب قبل الإسلام ، ثم تكمل شيئاً فشيئاً حتى أصبح علما من أجل علومهم وأعظم شأناً[1] . والحق أن نمو

---

(١) انظر الفصل الذى كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادى عن التاريخ عند العرب فى ترجمته العربية لكتاب هرنشو ... علم التاريخ . القاهرة ١٩٣٧ .

التاريخ — كعلم — سار متسقاً مع تكوين الدولة العربية ونموها . ارتبط أولا بالحاجة إلى جمع مادة « السيرة » وكتابتها ، ومن هنا جاءت صلة التاريخ بالحديث ، وجرى تحقيق المادة التاريخية على النحو الذى تجرى به تحقيق مادة الحديث . ثم مضى العرب فى اتساع دولتهم ونمو حضارتهم يوسعون أفق التاريخ ، حين أخذوا يعنون بجمع الأخبار ، أخبار الفتوحات وأخبار الشعوب التى اتصلوا بها ، مما حفز خيال المؤرخين وأدى إلى توسيع نطاق التأليف التاريخى . . . إلى أن استقام التاريخ فى يد ابن خلدون علما ثابت الدعائم وطيد الأركان ، ومن بعده مضى تلاميذه فى مصر يؤسسون فى كتابة التاريخ فى القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى)[1] مدرسة كانت أقوى ما عرف العرب فى تاريخهم .

ثم جاءت فى تاريخ الثقافة العربية فترة انقطاع ، نتيجة لغلبة الترك وتعطل الموارد وانقطاع الاتصال بالعالم الخارجى إلا فى أضيق الحدود . حتى كان القرن الثامن عشر فبدأت تلوح فى أفق مختلفة من العالم الإسلامى : فى الجزيرة العربية وفى الهند وفى مصر بعض ظواهر من اليقظة الفكرية ، ومنها — وخاصة فى مصر — معاودة التأليف التاريخى على أسلوب حاول أصحابه — وعلى رأسهم

---

(١) أنظر : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر للدكتور محمد مصطفى زيادة .

عبد الرحمن الجبرتى — أن يحاكوا به أسلوب مدرسة القرن الخامس عشر .

ومن هنا جاء خطر الجبرتى فى كتابة التاريخ المصرى بعد طول انقطاع . والجبرتى يقف فى العصر الذى عاش فيه (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر) على مفرق الطرق : فهو — من جهة — متأثر كل التأثر بالتأليف التاريخى والإسلامى وخاصة مدرسة القرن الخامس عشر ، متأثر بمقوماتها وعقليتها الدينية والفكرية ووسطها الاجتماعى ، متأثر بأسلوبها ومنهجها فى كيفية جمع مادة التاريخ والتأليف منها ، هو متأثر بهذه المدرسة وإن لم يستطع أن يرتفع إلى مستواها . وهو — من جهة أخرى — قد بدأ ينفعل بالأحداث الخطيرة التى كانت تجرى من حوله والتيارات الجديدة التى أخذت تناوش تفكيره ، فهو يرى النظم والأوضاع التى عاش فى ظلها تتهاوى من حوله ، لتخلى طريقها لنظم وأوضاع جديدة لم يعش حتى يشهد اكتمال بنائها . ولكن الجبرتى — فى رأينا — وإن أثرت فيه هذه الاتجاهات والتيارات الجديدة إلى حد أحدثت عنده تلك (الاهتزازات) التى يلحظها قارئ المجلدين الأخيرين من تاريخ الجبرتى ، إلا أنها عجزت عن تطوير تفكيره وأسلوبه ، فظل منتمياً للمدرسة التى نشأ فيها ، لم ير الجبرتى فى تلك الأحداث إلا « بداية الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة والنوازل الهائلة . . . وتوالى

المحن واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير وحصو التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب ، وما كان ربك مهـ القرى بظلم وأهلها مصلحون »[1] .

ومن هنا يحق لنا أن نعد الجبرتى آخر تلاميذمدرسة المؤرخين الإسلاميين فى العصور الوسطى ، ولا نعده أول تلاميذ مدرسة القرن التاسع عشر . فمصر القرن التاسع عشر شىء آخر لم يعرفه الجبرتى ، وإن عرفه لم يفهمه . وكان حتما أن تتطور الثقافة فى مصر على أيدى رواد جدد يعملون على المواءمة مع الحياة المصرية الجديدة . ومن هذا التطور الثقافى العام استمد التأليف التاريخى فى القرن التاسع عشر عناصر تكوينه .

وهذا هو ما وقف عليه صديقنا الدكتور جمال الدين الشيال جهده لبحثه . وللدكتور الشيال من دراساته فى التاريخ الإسلامى ما يمكنه من تعقب هذا التطور ووصفه على أدق نحو . فهو قد عاش مع المؤرخين الإسلاميين ووقف على مؤلفاتهم ومناهجهم ونشر لجمهرة منهم ، وهو قد اطلع على تاريخ حركة الترجمة فى مصر فى القرن التاسع عشر وكتب فيها . فكتابه

---

(١) هذا أول ما كتبه الجبرتى فى وصف حوادث سنة ١٢١٣ هـ (سنة نزول حملة بونابرت) فى أول المجلد الثالث من كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) .

الذى يسرنى أن أقدم له اليوم (التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر) ثمرة لدراساته المستفيضة وصحبته الطويلة للمؤرخين الإسلاميين فى العصور الوسطى والرواد الأول للحركة الثقافية فى مصر الحديثة .

وقد عنى الدكتور جمال الشيال بتعقب المؤرخين الذين عاشوا فى مصر فى ذلك العصر ، فترجم لهم ووصف آثارهم ، ثم أعقب ذلك ببحث مقارن لمختلف الاتجاهات فى التأليف التاريخى ومناهجه والعوامل المؤثرة فيه . فجاء كتابه — فى الواقع — سجلا حافلا للنهضة الثقافية فى مصر فى القرن التاسع عشر . فنحن نهنئه بهذا الجهد العلمى الكبير الذى تعتز « المكتبة التاريخية » بنشره فى مستهل إنتاجها . وعلى الله قصد السبيل .

٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ أحمد عزت عبد الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عشت فى مصر القرن التاسع عشر زمنا ما فى فجر شبابى عندما كنت أعد بحثى للماجستير عن « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » ، فتعرفت على منعرجات هذا الموضوع وكشفت الغطاء عن كثير من خفاياه ، وفهمت قدراً من بواعث النهضة المصرية فى هذه الحقبة من الزمن ، وأحببت الكثيرين من رجالات الفكر وقادة مصر الذين أسهموا فى حركة التقدم بوطنهم فى القرن التاسع عشر.

ولهذا رحبت بالدعوة حين وجهت إلى من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن للاشتراك فى مؤتمر يعقد بها فى صيف ١٩٥٨ لبحث موضوع « حركة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط »[1] ، فقد أقترح علىّ أن أكتب ورقة

(١) عقد هذا المؤتمر فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن =

(School of Oriental and African Studies. University of London)

وسمى المؤتمر باسم

"Conference on Historical Writing on the Near and Middle East."

وعقد فى المدة من ٣٠ يونيو إلى ٤ يوليو سنة ١٩٥٨.

لهذا المؤتمر موضوعها « حركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

وكان نظام المؤتمر يقتضى أن تكتب الأبحاث وترسل إلى المدرسة حيث تقرأ فى حلقات البحث فى الفصل الدراسى الثانى وتناقش ، ثم يعقد المؤتمر فى الصيف ويحضره أعضاؤه فيقرأ كل منهم بحثه ويشترك الأعضاء فى مناقشته .

وقد اشترك فى المؤتمر تسعة وأربعون عضواً كلهم من أساتذة التاريخ الإسلامى فى جامعات العالم ومن المشتغلين بالاستشراق أو بالأبحاث التاريخية المتصلة بالشرقين الأدنى والأوسط ، أذكر من بينهم : الأستاذ جب من جامعة هارفارد ، والأستاذ جرونباوم من جامعة كاليفورنيا ، والأستاذ كلود كاهن من جامعة استراسبورج ، والأستاذ فوك من جامعة هال ، والأستاذ روزنتال من جامعة ييل ، ومؤرخ الحروب الصليبية الأستاذ رانسمان ، والأستاذ شبولر من جامعة هامبرج ، والأستاذ شاخت من جامعة ليدن ، والدكتور عبد العزيز الدورى من جامعة بغداد ، والدكتور نبيه أمين فارس من الجامعة الأمريكية ببيروت . . . الخ .

ومثّل الجمهورية العربية المتحدة الدكتور سامى الدهان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وكاتب هذه السطور .

وقدم للمؤتمر تسعة وأربعون بحثاً كلها قيم ، وكل منها يتناول

ناحية من نواحى تطور حركة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، وقرر المؤتمر فى جلسته الختامية طبع هذه البحوث فى كتاب مستقل ، وسيكون هذا الكتاب عند ظهوره مرجعاً هاماً لكل من يريد التأريخ للتاريخ الإسلامى فى مختلف عصوره .

وقد بدأت — عندما وصلتنى الدعوة إلى الاشتراك فى المؤتمر — أعد بحثى فى حدود الصفحات التى عيّنها لى ، ولكن الموضوع شاقنى فلم ألبث أن وجدت نفسى أسترسل فى البحث والاستقصاء والاستيفاء والكتابة حتى وجدت آخر الأمر أننى كتبت كتاباً مكوناً من قسمين : القسم الأول فيه دراسة تفصيلية لحركة التأليف التاريخى والمؤرخين فى مصر فى القرن التاسع عشر ، والقسم الثانى فيه دراسة تحليلية مقارنة لهذه الحركة وبواعثها وأهدافها وموضوعاتها وأسلوبها . . . إلخ

ووجدت نفسى فى حيرة : كيف أرسل للمؤتمر كتاباً وقد طلب منى بحثاً محدد الصفحات والكلمات ، وأخيراً وجدت القسم الثانى من الكتاب قريباً من القدر المطلوب فأرسلته للمؤتمر وخاصة أنه أكثر شمولا ، وبعيد عن التفصيلات ، وعنوان هذا البحث :

« دراسة مقارنة لحركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

"A Comparative Study of Egyptian Historiography in the Nineteenth Century."

هذا وقد كنت وضعت كتابى أولا باللغة العربية ، ثم ترجمته بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية ، والنسخة العربية هى هذه التى بين أيدى القراء ، تحت عنوان « التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر » ، وأما النسخة الإنجليزية فقد جعلت عنوانها :

"A History of Egyptian Historiography in the nineteenth century"

وأرجو أن أوفق قريباً لتقديمها للمطبعة .

ولقد أضفت إلى هذه النسخة العربية فى آخرها ملحقاً قدمت فيه بياناً بأسماء المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر وأسماء كتبهم التاريخية ، كما أضفت إليه قائمة كاملة بمراجع البحث ليرجع إليها من يريد التحقق أو الاستزادة.

وإنى أتقدم بالشكر الجزيل لصديق العزيز الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، فقد تفضل باختيار كتابى هذا ليكون واحداً من كتب المجموعة القيمة التى يشرف على إخراجها بعنوان « المكتبة التاريخية » .

والله أسأل أن يوفقنى دائماً لما فيه الخير لأمتنا العربية وتاريخها المجيد .

الاسكندرية { ٢ جمادى الآخرة ١٣٧٨ / ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ } جمال الدين الشيال